

## اللبنانيون في افريقية

بقلم كامل مرّوه

للاستاذ كامل مرّوه كتاب جديد اسمه « نحن في افريقية » ( ١ ) جسم فيه ذميرته ومعلوماته في رحلت الاخرة الى مهاجر اللبنانيين في افريقية الغربية ، دارت ماضي الهجرة وحاضرها ومستقبلها . وقد رأينا ان ننشر له هذا البحث الذي خصّ به « المشرق » اشارة الى ما في محتواه الثمير .

تبار الهجرة يجرف مهاجرين في البدء الى العالم الجديد، اي الى اميركة الشمالية ثم الى اميركة الجنوبية. وكانت مرسيلية المرحلة الاولى في الطريق اليها. وفيها على الارجح سمع مهاجرون لأول مرة ببلاد مغنورة تدعى افريقية الغربية، فقفر انفسار معدودون منهم بحرى الطريق، واتجهوا اليها بدلاً من متابعة السفر الى الديار الاميركية، اما رغبة في المقامرة، او لعجزهم عن دفع اجرة السفر الباهظة من مرسيلية الى العالم الجديد، او لان حالتهم الجدية لم تكن تطابق الشروط الصحية القاسية المفروضة في اميركة على المهاجرين الجدد.

وليس بالاستطاعة تعيين التاريخ الذي بدأت فيه الهجرة نحو افريقية الغربية ولكن يمكن تخديده بصورة تقريبية حول سنة ١٨٨٠. وقد ظل عدد المهاجرين الى افريقية ضئيلاً جداً في ذلك العهد، ولم يتلبس صفة هجرة متواصلة الا في آخر القرن التاسع عشر.

وقد بذلت جهوداً كبيرة لمعرفة اسم المهاجر اللبناني الاول الى افريقية الغربية فلم افلح لانعدام السجلات والوثائق، كما انه ليس بالاستطاعة تحديد المستعمرة الاولى التي استقبلته. والمرجح ان تكون السنغال اول مستعمرة دخلها

(١) كامل مرّوه : نحن في افريقية : الهجرة اللبنانية السورية الى افريقية الغربية : اضيها ، حاضرها ، مستقبلها . - ٣٢٢ ص . شوسطة مزدانة بالرسم ، مع خارطة كبيرة ملونة - نشر « المكشوف » بيروت ، ١٩٣٩

مهاجرونا في المنطقة الفرنسية ، وسيراليون في المنطقة البريطانية . واذا قابلنا بين حالة الاثنين في ذلك المهد صح لنا اعتبار السنغال اول ما وطأته اقدامهم ، لانها عتبة افريقية الغربية جغرافياً .

وقد قام المؤلف الفرنسي « دوورد » يبحث دقيق عن تاريخ الهجرة الى السنغال خرج منه انه في اوانل سنة ١٨٩٢ وصل الى شواطئ سانيغاميا اربعة ارخمه مهاجرين لبنانيين وتوزعوا بين سان لويس ( السنغال ) وكوناكري ( الغينه الفرنسية ) وكانوا يرتدون الملابس الشرقية ( الشروال وتوابه ) ويحملون معهم بضائع زجاجية حقيرة ابتاعوها من مرسلية ، فيعرضونها على الزنوج في الساحات العامة باسعار منخفضة .

وكانت الحركة التجارية قوية يومئذ في هاتين البلديتين بسبب تردد زنوج الداخلية عليهما عن طريق الانهر ، فصادفت بضاعة المهاجرين الجدد اقبالاً حسناً . واستطاع احداهم الحصول على مساعدة من احدى الشركات التجارية الفرنسية في كوناكري ، فساعد بدوره رفاقه ، وتمكنت حالتهم جميعاً .

وبعد قليل وصلت الاخبار الى مرهيلية تنبئ بنجاح هؤلاء المهاجرين ، وفيها كثير من المبالغة . وقد حدثني احد مهاجريننا القديما ان الاشاعات التي انتشرت يومئذ جعلت الناس يتوهمون ان الذهب يتدفق كالمنظر على المهاجرين الاول . وكان لهذه الاشاعات تأثيرها السريع ، فعدل كثيرون عن متابعة الفر الى اميركة ، واتجهوا صوب افريقية الغربية على المراكب الشراعية او على بواخر الشحن .

#### تطور حركة الهجرة

وقد بلغ عدد مهاجريننا في افريقية الغربية في سنة ١٩٠٠ اربعمائة مهاجر تقريباً ، منهم ٢٧٦ مهاجراً في المناطق الفرنسية . ثم اخذ عددهم يتزايد رويداً حتى بلغ الاربعة آلاف اثنا، الحرب العظمى . ومنذ سنة ١٩٢٤ ، اشتدت الهجرة واستمرت في تزايد مطرد حتى اصبح عدد مهاجريننا الآن احد عشر الفا رجلاً ونا. واطفالاً . وكانوا يتوزعون في آخر سنة ١٩٣٨ على الشكل التقديري التالي :

١٦٠٠	المتممرات القرنية : دكار
٢٨٠٠	السنغال
٤٠٠	السودان
١٦٠٠	الفينة
٢٠٠	شاطر الحاج
٤٠	للداهومي
١٠	النيجر
٢٠	الموريتانيا
٧١٢٠	المجموع
٣٥٠	المتممرات الانكليزية : غامية
١٠٠٠	ميراليون
١٠٠٠	شاطر الذهب
٢٠٠	نيجيرية
٣٠٥٠	المجموع
٤٠٠	المناطق الباقية : الفينة البرتغالية
١٠٠	ليبيرية
٨٠	التوغو
٥٨٠	المجموع

المجموع العام ١٠٨٠٠

وينتمي اكثر مهاجريننا الى الاقضية التالية مرتبة حسب كثرتهم العددية :  
المتن ، صور ، بيروت ، البقاع ، جزين ، صيدا ، الشوف ، كسروان ، البترون ،  
طرابلس ، مرجيون ، عكار .

ومهاجرو بلدة بيت شباب هم الاكثر عدداً في كل افريقية الغربية اذ  
يقاربون الالف . ويأتي بعدهم مهاجرو صور وعددهم ٨٠٠ ، بيوت ٦٠٠ ، قب  
الياس ٤٠٠ ، طرابلس ٤٠٠ ، جوبا ٣٥٠ ، بينو عكار ٣٠٠ ، كفرحونه ٢٠٠ ،  
بكفيا ٢٠٠ ، الزرارية ٢٠٠ الخ .

ويتراوح عدد المهاجرين السوريين في كل افريقية الغربية بين ٧٠٠ و ٨٠٠  
مهاجر ، معظمهم من دمشق ( ٢٥٠ ) وحمص وحماة ( ٢٥٠ ) .

## اشغال مهاجريننا

عشرة الاف مهاجر ، ماذا يفعلون في القارة السوداء ؟

المهاجر اللبناني السوري في افريقية الغربية تاجر بطبيعته وطبيعة الاحوال المحيطة بتقدمه . فالتجارة هي اساس العمل في القارة السوداء ، واضمن واسرع منفذ الى الثروة ، واسايبها متوافرة بوجه الاجمال لكل انسان . ولهذا الاسباب اقبل مهاجرونا على التجارة منذ قدومهم ، ولا تزال اكثريتهم الساحقة تمارسها حتى الآن .

ورغم ان انتشار الحضارة في افريقية قد فتح آفاقاً مادية جديدة ، فان مهاجريننا ظلوا متسكين بالتجارة . وقد بدأت الزراعة تمثل دوراً رئيسياً في المستعمرات منذ بضع سنوات ، ولكن اقبال مهاجريننا عليها ضئيل جداً . ولا يزيد عدد المزارعين منهم عن المئة نفس ، اكثرهم يتعاطون زراعة الموز في الغينه الفرنسية ، والقهوة والكافور في شاطىء العاج .

وبوجه الاجمال ، يمكن القول بان ٩٠ بالمائة من مجموع مهاجريننا يمارسون التجارة . والباقيون يحدقون المهن الاخرى العادية كالحلاقة ، والحياطة ، وادارة المطاعم والمخانات ، والمواصلات . وليس لمهاجريننا اي اثر في الصناعة لان الصناعة نفسها مفقودة في كل افريقية الغربية ، ما عدا صناعات قروية يدوية حقيرة . ويشغل بعض مهاجريننا منذ بضع سنوات في استخراج الذهب والتجارة به ( في سيراليون وشاطىء الذهب وشمال الغينه الفرنسية ) .

## دور مهاجريننا في التجارة

والتجارة من دكار حتى لاغوس ترتكز على عنصر واحد ، وهو المحاصيل الزراعية . يجني الزنجي فستق العبيد ، وزيت الباليست ، وبزره ، والكونولا ، والكافور ، والقهوة ، والصنع ، والقطن ، والارز ، وغير ذلك من المعهولات المزروعة او الطبيعية ، ثم يبيع محصوله — في اكثر الاماكن — من مهاجريننا ، ويشترى بالثمن ملابس وبضائع وخرصوات .

وفي كل مستعمرة من مستعمرات افريقية الغربية شركات اوربية كبرى ، يرد بواسطتها ويخرج ٩٩ بالمائة من واردات البلاد وصادراتها ، فهي سيدة التجارة تتصرف بتقديراتها كما تشاء . وتفرض ارادتها على الاسواق بلا منازع . وعلى هامش

هذه الشركات تقوم تجارة مهاجريننا .

قد يبدو دور مهاجرنا ثانوياً لأول وهلة . ولكنه اساسي في الواقع ، لان مهاجرنا هو صلة الوصل الرئيسية بين الشركات والمبيد ، فهو يشتري البضائع من الشركات بالجملة ونصف الجملة ويبيدها من المبيد بربح قليل بعد طول العناء . وهو الذي يشتري الماصيل من المبيد ويبيدها بدوره من الشركات بربح ضئيل ايضاً . هكذا تمر تجارة البلاد بين يديه ذهاباً واياباً بين الشركات والزوج مرور « الترانزيت » . ولا يعلق منها سوى القليل . وفي هذه الحلقة المفرغة تدور تجارة المهاجر اللبناني السوري .

وكانت الشركات تعتمد تدنياً وكلاهما من الاوربيين والزوج للقيام بدور الوسيط في بيع بضائنها ومشتري المحصولات لها . فلما دخل مهاجرنا الميدان شعرت الشركات باعليته ، ورأت ان الوكيل الاوربي يكلفها غالباً ، والوكيل الاسود يعرضها دائماً للخسارة بسبب عقليته وطباعه البعيدة عن التجارة ، فعمدت الى وضع ثقتها بمهاجريننا وتزويدهم ببضائنها ، ومشتري المحصولات على ايديهم .

ميزات مهاجرة التجارة

والواقع ان مهاجرنا يتمتع بمؤهلات تجارية تساعد على نجاحه في القارة السوداء . رغم خنونه من رأس المال المادي والعلمي والاجتماعي . فهو يعيش عيشة بسيطة تسهل اختلاطه بالزواج اختلاطاً مباشراً ، والنفاهم معهم وهو بطبيعته الشرقية بسيط ، يعامل الزوج بتواضع وكرم . واحياناً ينفالي في التراخي معهم لدرجة يتوهمون معها انهم ذوو مئة عليه .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان معيشة مهاجريننا لا تحتاج الى نفقات مادية باهظة كعيشة التاجر الاوربي ، فيستطيع القناعة بالربح الضئيل مما يزيد في الاقبال عليه ويمكن الزوج من الحصول على حاجاتهم بأسعار رخيصة تتفق مع فقرهم وبفضل هذه الميزات اصبح مهاجرنا خبيراً بطباع الزوج وميرلهم ، يعرف ما يحبون من البضائع ، ويعرف كيف واين ومتى يجب تصريف هذه البضاعة او تلك . وهو داهية في تجارته معها كانت صغيرة ، ماهر في اساليبها ، يستطيع ان يوسمها ويضيقها بسهولة مستحيلة على غيره .

واللبناني السوري هو التاجر الابيض الوحيد الذي يدين الزنجي بمبالغ كبيرة من الاموال والبضائع على ان يفيها في ايام الموسم . وهذا الدين لا يستند في اكثر الاحيان الى اي ضمانات او كفالة ، بل الى امانة الزنجي فقط . فاذا اعاد المال في الموسم كان ربح مهاجرنا كبيراً ، والا خسر خسارة بالغة . وكثيراً ما يكون الموسم سيئاً ، فيفقد التاجر كل امل باستعادة دينه منها اكثر من ملاحقة المدين . وقد كان شطراً تجارة مهاجرنا ولا يزال : بيع البضائع للزنج ببيع ضئيل ، وبيع المحصول للشركات ببيع ضئيل . وبفضل هذه الحطة تكثر الكيانات الميمنة والمشتراة ، وتولفت الكثرة ربحاً كافياً يعرض — بصورة نسيئة — عن الربح الناشئ عن بيع القليل بالسعر التالي .

على ان جهاد مهاجرنا ليس اثنائياً ، ولا تقتصر فائدته عليه وحده . ذلك ان لافريقية القريبة وجهين : وجه السواحل المنتق ، ووجه الداخلية النظري . ومهاجرنا هو الابيض الوحيد الذي تجرأ على اقتحام مجاهل الداخلية في اكثر المستعمرات ، وتحمل شظف الميش ومتاعب التجارة فيها ، مهدداً الطريق امام غيره ، ناقلاً معه بثائر المدنية . ولولاه لظلت داخلية اكثر المستعمرات صحاري قاحلة وادغالاً مجرولة ، لا يفيد العالم شيئاً من ثروتها الطبيعية ، ولا يفيد سكانها التوحشون من فضائل المدنية .

لقد حمل مهاجرنا معه بضاعة الابيض البراقة الى زنج الداخلية ، فدهشوا منها واقبلوا عليها . ثم وجدوا ان المال هو الوسيلة الوحيدة للحصول عليها ، ولا سبيل للوصول الى المال الا ببيع المحصولات ، فاضطروا الى الاشتغال بالزراعة وجني المحصول . وهكذا عود مهاجرنا الزنج العمل ، وبالتالي تزايد انتاج البلاد وانفتحت فيها اسواق جديدة للتجارة .

#### ثروات مهاجرنا

اما النتيجة المادية التي تمرد على مهاجرنا من عمله فانها لا توازي جهوده . فالشركات ، كما اسلفت ، تتأثر بالارباح الكبيرة بفضل ضخامة رسامياتها وخبرة مديريها واتساع تجارتها . وبين العشرة الاف مهاجر لا يوجد اكثر من اربعة او خمسة مؤثرين اغناهم تقدر ثروته بربع مليون ليرة انكليزية ، والثاني بسبعين الفاً .

وهناك مئة غني تتراوح ثروتهم بين الخمسين الف ليرة انكليزية والمشرة الاف .  
ويتقدر عدد الميسورين بثلاثة الاف . اما الباقون فان مقدرتهم المادية لا تزيد  
عن حد الكفاية الشخصية . وبينهم بضع مئات لا يملكون شيئاً . ورب قائل  
ان ثروة مهاجرنا يجب ان تعد كبيرة مهما كانت ضئيلة نسبياً ، لان دخل الارض  
الافريقية معدوم . وهذا القول صحيح في نظر من يصدر حكمه عن بعد .  
ولكن من شاهد مثلي جهاد مهاجرنا وتلس تضحياته الجيارة ، يدرك ان ارباحه  
لا تعدل عشرة بالمئة مما يستحق . ولا بد من الملاحظة بان الارباح في افريقية  
كبيرة لمن يملك رأس مال كبيراً . ولما كان مهاجرنا الجديد فقيراً ، فانه يقتنع  
بالربح الضئيل في البد . ويعيش عيشة الاقتصاد الشديد كي يكون رأس مال  
كافياً . والمادة ان يبلغ مناه في معدل عشر سنوات اذا حالفه الحظ والتوفيق .  
وكما ان الارباح كبيرة في افريقية ، فان نفقات المعيشة توازيها نسبياً . ولهذا  
السبب يضطر مهاجرنا الى التفتير في نفقاته ليوفر التيسل من ارباحه . فانتقير  
على النفس هو الركن الاول والآخر في تكوين ثروة المهاجر .

#### الحملة الاجتية على مهاجرنا

ومع ذلك ، ورغم جميع المتاعب والمصاعب ، لب الحسد في قلوب الانيار ،  
فاناروا الشغب على مهاجرنا في بعض المستعمرات في ظروف مختلفة . وقد مرت  
هذه العواصف بسلام ، وكانت نتيجتها الرئيسية تقديم برهان جديد على ان  
العشرة الاف لبناني في افريقية الغربية هم عنصر حيوي في تجارة ١٠ مليوناً من  
البشر ، في بلاد مساحتها ستة ملايين كيلومتر مربع .

ويجب الاعتراف بان خصوم مهاجرنا ليسوا من ممثلي الحكومة ولا من ممثلي  
الشركات الكبرى ، بل من صغار التجار الاجانب الذين ابتزع منهم مهاجرونا  
السبق التجاري ، وحاوا ملهم في دور الوساطة بين الشركات والزواج ، اي في  
تجارة المفرق .

وقد بدأت هذه الحركة السلية في مستعمرة التينه الفرنسية في سنة ١٨٩٨  
وانتقلت منها الى السنغال والسودان ، لكن لم تعد على اصحابها باي نتيجة .  
وعقب الحرب اعتدى الزنوج على مهاجرنا في سيراليون ، ثم في ليبيريا . ثم ساد

هدوء نسبي طويل في كل المستعمرات . ولكن موجة الهجرة الكبيرة في سنة ١٩٣٦-١٩٣٧ كانت سبباً في تجديد الحركة في السنغال، فاضطرت الحكومة الى التدخل وفرض قيود شديدة على الهجرة لمنع دخول المهاجرين الجدد . ويجب الاعتراف بان هذه التدابير كانت في مصلحة البلاد ومصلحة مهاجريننا القدماء . ايضاً .

وإذا كان مهاجرونا لا يشكون ضغطاً حكومياً عليهم وعلى مصالحهم ، فانهم يتألمون في بعض المستعمرات من نظرة الاجانب المعنوية اليهم ، لاسباب ناشئة عن الفرق في مستوى الميثة والثقافة والحياة الاجتماعية . ولا شك ان جانباً كبيراً من المسؤولية في ذلك يقع على مهاجريننا انفسهم . والتنظيم الاجتماعي موجود - مبدئياً - في العواصم حيث آلت كل جالية جمية لها . ولكن اكثر الجماعات لا يعيش طويلاً ولا يثمر بسبب المنازعات الشخصية والطائفية . وليس في افريقية الغربية اندية لمهاجريننا ، سوى نادٍ واحد في كلو ( نيجيرية ) ووتر في موبتي ( السودان الفرنسي ) .

مصاعب الميثة في افريقية

ويتضافر الجهل والفقر وسوء المناخ على جعل ميثة مهاجريننا صعبة . والواقع ان الميثة لا يمكن ان تكون مرضية في بلاد توفت فيها الكينا والشربات عنصراً ضرورياً في الطعام اليومي ، وتتعاون فيها رداة الطقس مع الرطوبة والحرارة على ابتزاز آخر نقطة من الدم النقي النشيط في جسم الابيض ، فلا تبقى منه سوى عظام ناتئة من تحت الجلود ، او لحم هش خال من الحيوية الدموية .

والمهاجر اللبناني يتحمل كل هذه المصاعب بعبر عجب يعجز عنه متشفيو الهند وقد رأيت بعض مهاجريننا يعيش عيشة شبه مستحيلة في صحاري السنغال ، وغابات الفينيه ، و « برور » سيراليون ، وادغال شاطي العاج . ولولا نشاط مهاجريننا وطموحه وطول اثاره لما استطاع ان يتحمل مر العيش في داخلية المستعمرات ، حيث لا يزال الزوج على النظرة ، وحيث ضروريات الحياة معدومة تقريباً .

المهاجر اللبناني السوري في افريقية الغربية يتناسى راحته وحاجة جسمه ، ويضحى بزهرة شبابه . في جعج القارة السوداء ، وادغالها لكبي يجمع الثروة المنشودة ، التي تؤمن له مستقبله ومستقبل اولاده ، وتضمن له قبل كل شيء . العودة الموقفة الى الوطن . فهذه العودة هي ابنة المهاجر الغريزة ، يحرص عليها ويفذيا بالآمال كلما دب في نفسه يأس الجهاد ومزقت قلبه حيرة الغربة . ولا يذكر المهاجر وطنه الا وفي فواده شعاع مؤلم من الحنين والشوق .

وافريقية الغربية ليست اميركة ولا اوربية ، ولا تزال متأخرة عن بلادنا براحل . والحياة فيها شاقة ، والحالة الصحية لا تطاق . فليس ثمة رابطة تربط مهاجرنا بها سوى المصلحة المادية وحدها .

والواقع ان بين مهاجرنا بضع مئات من المكثفين الذين اقلحوا في تكوين ثروات حسنة . وهم يرغبون رغبة شديدة في العودة الى وطنهم . ولكنهم مع ذلك لا يعودون ، ولا اعتقد انهم سيعودون اذا دامت حالة بلادنا على هذا المنوال .

اما السبب في تفضيلهم البقاء في افريقية على الرغم منهم فهو خوفهم من تبيد ثروتهم اذا عادوا الى الوطن . ففي افريقية يستطيعون ان يتابعوا استثمار اموالهم بالاساليب التي اعتادوها . اما في الوطن فان هذا مستحيل اذا لم يتوفر من يمد لهم الطريقين مقدماً ويشق لهم ميادين الاستثمار والعمل ، ويحفظهم من الخطرة الاولى على الاقل .

وما دامت هذه العناصر الايجابية مفقودة ، فان الامل بعودة المهاجرين المكثفين مفقود .

هل افادتنا الهجرة الى افريقية ؟

بعد هذا المعرض السريع لاحوال المهاجرين ، انساءل : هل استفادت بلادنا من الهجرة الى افريقية الغربية ؟

لن اتسرع في الجواب على هذا السؤال سلباً او ايجاباً ، بل ابسط للقارىء بعض الاعتبارات التي يجب الاستناد اليها في اصدار الحكم .

جميع الذين هجروا بلادنا الى افريقية او غيرها كانوا مدميين مادياً . اي

انهم غادرونا ولا رأس مال لهم سوى نشاطهم واملمهم . وهكذا لم تحسر بلادنا بمخروجهم منها اي خسارة مادية مباشرة ، ولم تنقص ثروتها الاهلية شيئاً . وكتب النجاج لتقسيم وافر منهم ، فاخذوا يتدون ذويهم بالمساعدات ، وبذلك استفادت البلاد فائدة مادية عملية . وكثيرون منهم ارساوا مبالغ طائلة لمشتري الاراضي او لانشاء المباني او لمساعدة المشاريع العمرانية ولاسيما في القرى . هذا من الوجهة المادية والصرائية . ولكن هناك وجهات اخرى لا يمكن افعالها عند البحث في هذه القضية ، وفي مقدمتها قضية اليد العاملة .

لا اغالي اذا قلت ان ٨٠ بالمئة من مهاجريننا في افريقية الغربية تحروا اليها من القرى لا من المدن . اي انهم كانوا مزارعين وعمالاً في الزراعة . والزراعة تظل العنصر الاساسي في حياة بلادنا مهما كانت مهلة . فخسارتها بضعة آلاف من رجالها هو خسارة بالغة تؤثر تأثيراً مباشراً عليها وعلى مستقبلها .

وجميع المهاجرين يكفونون في شرح الشباب عندما يغادرون وطنهم ، وبذلك يحسر الوطن بندهايم خسارة فورية ناشئة عن تناقص عنصر الشباب فيه ، وهو العنصر الاكثر حيوية ونامية في تطور البلاد .

وفي المهجر ينصرف الشاب المهاجر الى العمل ، ولا يفكر بالزواج الا بعد تحقيق امانيه ، اي بعد سنوات طويلة من هجرته بحيث يكون قد اشرف على المرحلة الاخيرة من شبابه او بدأ مرحلة الكبولة . وفي هذه الحالة ينقص النسل نقصاناً كبيراً . وقد شعرت بلادنا بهذا النقص ، فهناك قرى تكاد تكون خالية من السكان بالنسبة الى عدد سكانها الاعلى كالزراية ، وجوتيا ، ومزيرة ، وبيت شباب ، وصور .

ثم ان الهجرة الى الخارج شجعت القرويين العاجزين عن الهجرة الى البلاد الاجنبية على الهجرة الى المدن الكبرى ، فاصبحت الحاضرة مضاعفة من عدة نواح .  
تطور فائدة البلاد من المهاجر

قلنا ان الشاب المهاجر يغادر بلاده معدماً ، ويبدأ العمل بنجد ونشاط . واثنا ذلك يد ذويه بمساعدات معتدلة بالنسبة لارباحه . ولكنه يوفر القسم الاكبر ليكون لنفسه رأس مال . فبلادنا اذن تنال نصيباً ضئيلاً من ارباح

المهاجر ، بينما يبقى النصيب الاوفر في المهجر  
ومتى توافرت الثروة لدى المهاجر يعمد الى التزوج . ومتى اصبحت زوجته  
بجانبه انقطعت الصلة المادية بينه وبين ذويه الباقين في الوطن ، اذ ينصرف  
الى العناية بعائلته الجديدة المقيمة معه ، او يحرص كل ارباحه بها ، موطئاً رأسه  
في املاك غير منقولة كالعقارات .

هكذا تستفيد بلادنا مادياً من المهاجر في السنوات الاولى من هجرته ،  
عندما يكون عوده المادي رطباً ودخله ضئيلاً في طور التكوين . ولكن  
عندما يصبح مثرياً ذا عائلة ، ويستقر وتستقر معه اموره ، تزول كل فائدة مادية  
منه ، ولا تبقى بينه وبين وطنه سوى رابطة الذكريات ، ورابطة الجنسية التي  
يحملها . وهي في كل حال رابطة معنوية لا تفيد البلاد بشي . لانها غير منظمة ،  
ولا موحدة بين جميع المهاجرين ، وليس لها اي مخرج او اية نتيجة عملية .

ثم ان الرابطة المعنوية تصبح واهية اذا طال عليها الزمن . وهي مرتبطة  
بجياة المهاجر نفسه . فاذا قضى نمجه في المهجر وترك ثروة لاولاده ، فانهم يستأنفون  
عمله في المهجر دون التفكير بوطن لا يعرفونه ، اذ يكونون قد اصبحوا ابنا  
المهجر الجديد ، ولدوا وترعرعوا ونشأوا فيه . لا ذكريات لهم تربطهم بوطنهم  
الاصلي ولا روابط حاضرة ، فمن الطبيعي ان يندمجوا في محيطهم الجديد وان  
يضيعوا فيه الى الابد .

#### ضرورة العناية بالمهاجرين

يتضح مما ذكرت ان البلاد تستفيد فائدة مادية محدودة في السنين الاولى  
من هجرة المهاجر . وعندما يصبح رب عائلة تضع الفائدة المادية وتبقى المعنوية .  
وعندما يطول عليه العهد او يخلفه اولاده الناشئون في المحيط الجديد تضع الصلة  
المعنوية ايضاً ، فتصبح خسارة البلاد بالمهاجر مثله : تخسر عطفه ، تخسر عطفه  
وشعره المعنوي ، تخسر نشاطه وثمره جهوده .

والسبل الوحيد لتلافي هذه الخسارة هي عودة المهاجر قبل فوات الاران ،  
او عند ما يصبح ميسوراً على الاقل . وليس لي في هذا المقال ان اتبسط في  
شرح قضية العودة وضرورتها واساليب تحقيقها ، ولكنني اذكر بايجاز ان قضية

مهاجرين في افريقية ، تتطلب معالجة سريعة في الامور التالية على الاقل :

اولاً - انشاء قنصلية لبنانية ( ومن الافضل لبنانية سورية ) في دكار مثلاً ، تكون ذات فروع ملحقة في كل عواصم المستعمرات المهمة . فيصح القنصل صلة الوصل بين المهاجر ووطنه ، وضمانة لاستمرار هذه الصلة على ممر الاجيال . ويكون القنصل وسيلة لتحسين حالة مهاجريننا الاجتماعية ورفع مكانتهم وازالة المنازعات فيما بينهم الخ .

ثانياً - انشاء دائرة واسعة للمهاجرين ، لا كالدائرة الصغيرة الموجودة حالياً في بيروت ، بل دائرة كبيرة ذات ميزانية كافية ، لتكون مرجعاً للمهاجر في كل الاستشارات والمعلومات والتنظييات والمشاريع الاستثمارية . بل ماذا يمنع من انشاء مديرية او وزارة للهجرة ، ما دامت الفائدة المنتظرة من ذلك تفوق الفائدة التي تعود على البلاد من اي وزارة اخرى ا

ثالثاً - تحسين المقاطعة المهمة في البلاد التي ينتمي اليها اكثر مهاجري افريقية كجبل عامل وعكار .

لقد بات معروفاً ان ما ينقص ابناء البلاد ليس الغرم ولا النشاط ، بل المعيط الذي يمكن ان يبرزوا فيه ، بدليل ان الصفات العملية الجيابة تجلت في ابنائنا عند هجرتهم لان المهاجر هياً لهم الجو المناسب لظهار اهليتهم . فاذا سعت حكومتنا الى خلق هذا الجو في البلاد نفسها ، فان جميع ابنائها يصبحون بهمة المهاجر وعزمه ، ويقطعون عن التطلع الى ما وراء حدودهم .

واذا استطاعت الحكومة ان تعمل عملاً جدياً لاجتذاب المهاجرين ، فاني اضمن للبلاد فائدة سنوية تفوق كل ما استفادته حتى الآن من سياة الناطور والمختار ، وتعرض عليها كثيراً من خسارتها الاقتصادية السنوية المتواصلة .

اما اذا دامت الحالة على هذا المنوال ، فانه لن يمر ربع قرن حتى تنقطع كل صلة بين مهاجريننا الافريقيين ووطنهم كما حدث بيننا وبين مهاجريننا في اميركة ، فلا يبقى لنا منهم غير الاسم ، ولا يبقى لهم منا غير الذكرى البعيدة ، وعندئذ نتحدث عنهم ويتحدثون عنا كما يتحدث الناس عن اشباح الماضي .

كان في تديم الزمان ... ورحم الله ما كان ا